مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية

الدكتور عبد المنعم الأحمد*
سحر طوبال علي **

(تاريخ الإيداع 12 / 12 / 2017. قبل للنشر في 3 / 1 / 2018)

☐ ملخّص ☐

الدونمة : كلمة نسمعها كثيراً ، ولكن أغلبنا لا يعرف معناها الحرفي ومتى نشأت ؟ وكيف ؟ وماهي أسباب نشأتها؟

والدونمة هي بالأصل كلمة مشتقة من اللغة الفارسية وتعني : دو (اثنين) ثمة (نوعين)، لأن أتباعها اعتنقوا الإسلام وبقوا محافظين على يهوديتهم سرا كدين وعقيدة وفكر سياسي .

سيوضح هذا البحث من هم يهود الدونمة على اعتبارهم تجمع يهودي صهيوني ظهر في عام 1664 م على اثر اضطهادهم وطردهم من أوروبا خلال فترة حكم الملك فريناند ملك اسبانيا .

بالإضافة إلى دورهم في الدولة العثمانية ، من تعيين السلاطين العثمانيين إلى عزلهم . وكذلك دورهم في تسيير أمور البلاد خاصة المالية منها لأنهم كانوا أصحاب مهن وخبرة في مجال التجارة والصيرفة .

أخيرا : تطرق البحث إلى توضيح فكرة هامة وهي أن يهود الدونمة هم المؤسسين الحقيقيين للحركة الصهيونية ولفكرة جعل فلسطين وطن قومي لهم .

الكلمات المفتاحية : العثمانية _ اليهود _ الدونمة _ سبتاي .

* أستاذ مساعد _ قسم التاريخ _ كلية الآداب _ جامعة دمشق _ دمشق _ سورية.
**طالبة دراسات عليا (دكتوراه) قسم التاريخ _ كلية الآداب _ جامعة دمشق–_ دمشق _ سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (1)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (1) 2018

History of the Jewish of Doumna in the Othoman Empire

Dr. Abd Al –Moneim Al-Ahmed*
Sahar Ali Tobal Ali**

(Received 12 / 12 / 2017. Accepted 3 / 1 / 2018)

□ ABSTRACT □

Doumna : a term that is heard mostly, but majority of people have no idea about its literal meaning , when did it arise ? how and what are the reasons of its inception ?

The term **Doumna** is originally derived from the Persian language , which means " two " , nma (two types) . Although their followers converted to Islam , they remained faithful to their Judaism secretly as religion , ideology and political thought.

This search will illustrate who are the Jews of **Doumna** as a Zionist Jewish community that appeared in 1664 AD , due to the persecution and expulsion from Europe that they had faced during the reign of the king , Ferinand of Spain .

In addition to their role in the Othoman Empire , starting with the appointment of the Othoman Sultans to their isolation .

Also , their role in running the affairs of the country especially the financial ones because they were professionals and experts in the field of trade and banking .

Finally , the Jewish of **Doumna** are the true founders of the Zionist movement and the idea of making Palestine a national homeland for them .

Keywords : Othoman _ Jewish _ Doumna _ Sabbatai.

***Assistant Professor _ History Department _ Faculty of Arts _ Damascus University _ Damascus _ Syria .**
****Postgraduate student _ History Department _ Faculty of Arts _ Damascus University _ Damascus _ Syria .**

مقدمة :

شكل اعتناق بعض اليهود للدين الإسلامي إشكالية كبيرة لدى الكثير من الباحثين في تاريخ الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول (ص) حتى سقوط الدولة العثمانية ، حيث تدور الشكوك حول أسباب اعتناقهم للدين الإسلامي ، ويأتي هذا البحث للحديث عن (تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية) وكيف نشأت هذه الحركة وتغلغلت في الدولة العثمانية اقتصادياً وفكرياً وسياسياً ؟ وهل فعلاً اعتنق أعضاء هذه الحركة الإسلام الصحيح أم كانت لهم نوايا وخفايا وأهداف بعيدة المدى. فيهود الدونمة فئةٌ أقامت في الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر الميلادي ولها جذورها لليوم الحاضر ، فهي جمعت بين اليهودية والإسلام ، وترجع أساس العلاقة بين اليهود والعثمانيين للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، حين استضافت الدولة العثمانية اليهود الهاربين من أوروبا وخاصة إسبانيا نتيجة لما يسمونه الاضطهاد الديني لليهود بعد مرسوم نفي اليهود الذي أصدره الملك فرديناند والملكة إيزابيلا في الثلاثين من آذار 1492م . حيث وجد هؤلاء المكان الآمن لعيشهم فاندمجوا بمجتمعات الدولة العثمانية ، وخاصة أنهم وجدوا التسامح الديني الإسلامي مع أهل الذمة ، فسكنوا كبريات المدن العثمانية ، وتغلغلوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فأصبحوا مالكين للتجارة في أزمير وسالونيك واستانبول ، كما تم منح حاخام اليهود الحق في تمثيل اليهود في الدولة أمام الحكومة العثمانية. وقد أصبح ليهود الدونمة السلطة والنفوذ في كثير من مرافق الدولة العثمانية بهويتهم ولغاتهم وثقافاتهم المزدوجة ، ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن هوية هذه الحركة وحقيقتها ، بطريقة علمية موضوعية أكاديمية ومنهجية تصل لجميع القراء والباحثين .

أولاً: أقسام اليهود في العالم ولغاتهم في الدولة العثمانية .

كادت أن تدخل الدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي مرحلة الانهيار نتيجة حربها مع البنادقة في عهد السلطان مراد الرابع (1623 – 1640م) ، بالإضافة لحروبها مع روسيا ، ومن ثمَّ محاصرتها لفيينا في عهد السلطان محمد الرابع (1648–1687م) /عام 1683م. للمرة الثانية بعد حصار السلطان سليمان القانوني (1520–1566م) ، فبدأت مرحلة من التراجع في الدولة العثمانية نتيجة هذه الحروب [1] .

وسط هذه الأحداث والتطورات ، ظهر لدى اليهود المعتقد بفكرة الخلاص من سيطرة الدول الأوروبية السياسية والاقتصادية عليهم ، حيث ظهرت حركات معادية لليهود في روسيا وبولونيا وأوكرانيا عام 1648م ، إذ ترسخ لدى اليهود فكرة الخلاص في هذه الفترة [2]. واعتقد اليهود في هذه الأثناء أن الحروب التي شاركوا بها وخاضوها في أوروبا لم تحل لهم مشكلاتهم ولم تضمن حقوقهم، فتطلعوا لشخصٍ منقذ يحكمهم وينفذ أحلامهم بالسيطرة والنفوذ.

ويقسم المؤرخون اليهود في العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

1. الأشكنازيون (Ashkenazim) :

هم الذين يعودون بأصولهم إلى ألمانيا ويتحدثون اللغة الألمانية ، وكانوا يدعونها لغة (الييدش) ، وهي مزيج من اللغتين الألمانية والآرامية وبعض الكلمات الأجنبية ، وتعود أصل كلمة أشكناز إلى شكناز وتعني ألمانيا ، وكانوا في البداية يضمون يهود ألمانيا فقط ثم شملت الجماعة يهود فرنسا وقسم من النمسا [3] ، ويطلق عليهم في أوروبا اسم المتهودون . وهم غُلاة الصهاينة في الوقت الحاضر.

---

[1] حرب ، محمد ، يهود الدونمة، دراسات إسلامية تاريخية، مؤسسة الدراسات التاريخية، الكويت ، د.ت ، ص11 .

[2] عثمان ، أحمد ، تاريخ اليهود ، مكتبة الشروق ، القاهرة 1994م ، ج3 ، ص 55.

[3] سوسة ، أحمد ،العرب واليهود في التاريخ،العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط7، دمشق، د.ت ، ص698–699.

2. السفارديم (Sephardim) :

هؤلاء الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية بعد الفتح العربي الإسلامي لها عام/ 711م ، وتحدثوا اللغة العربية في البداية ، ولكن في القرن الثالث عشر الميلادي تحولوا إلى اللغة الاسبانية فأصبحت لغتهم الأساسية وتعرف اليوم باسم (اللادينو) [1] ، وكان السفارديم يعتزون بثقافتهم بسبب استفادتهم من الحضارة العربية في الأندلس على عكس الأشكنازيين المنطوين على أنفسهم ، كما كان السفارديم لا يخالطون الاشكناز ولا يتزوجون منهم وبقي الحال على هذا المنوال حتى القرن الثامن عشر الميلادي [2] .

3. اليهود الشرقيون :

هؤلاء الذين هجروا فلسطين بعد السبي البابلي ، حيث انتشروا في العراق وبلاد فارس وشمال إفريقيا ، حيث تكلموا لغة البلاد التي نزلوا بها وتعايشوا مع سكانها .

وقد تحدث اليهود عدة لغات في الدولة العثمانية حسب الجماعات اليهودية التي قطنت بها .

أ – يهود أسبانيا ويتكلم 77% منهم لغة اللادينو ، وهي مركبة من الأسبانية واللاتينية ، وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي انقسمت هذه اللغة إلى فرعين : هي الكاستيليا ، والثانية اللغة المتداولة في شمال أسبانيا والبرتغال وشكلها المكتوب يسمى لادينو ، ويستخدم فيها الحروف الهجائية التركية الحديثة ، وبها حروف تفرقها في الشكل عن الأسبانية .

ب– المتحدثون باللغة الفرنسية يشكلون نسبة 96% . جـ – الأشكناز ويتحدثون الألمانية بنسبة 31% منهم . د– المتحدثون اللغة العبرية ويشكلون 8% من مجموع اليهود فقط . وكان 48% من اليهود يتحدثون الإنكليزية، وبالمجمل كانوا يتحدثون بشكل عام بأكثر من لغة. ومن الملاحظ أن جميع اليهود في الدولة العثمانية يتحدثون التركية بطلاقة [3] .

كما تحدث اليهود الذين عاشوا في أورفة وديار بكر العربية بطلاقة ، وفي عام 1660م كان اليهود المهاجرون من إسبانيا يتحدثون الإسبانية في الأراضي التي سكنوها بجوار البحر الأبيض المتوسط إلى أن حل القرن التاسع عشر الميلادي فأصبح الجميع يتكلم بالتركية [4] .

ثانياً : ظهور يهود الدونمة في الدولة العثمانية عام 1664م.

تميزت الدولة العثمانية بمعاملتها الجيدة لأهل الذمة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، حيث عدتهم أصحاب ديانات سماوية لهم كافة الحقوق لممارسة شعائرهم الدينية ، بالإضافة لحرية العمل والسفر والبيع وشراء الأراضي ، كما تمتعوا بالحصانة القضائية ، حيث أثرت تلك الامتيازات لأهل الذمة لأن يقوموا بتشكيل أشبه بدولة

---

[1] **لقد أطلق لقب السفارديم على يهود أسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين وقد أنشأوا لأنفسهم حياة خاصة ، وكانت لهم طقوس دينية متميزة، وكانت أعدادهم في الدولة العثمانية تفوق جميع الفئات اليهودية الأخرى . سوسة ، أحمد ، المرجع السابق، ص 700. حمدان ، جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية 169، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1967م، ص 23.**

[2] **سوسة، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 700.**

[3] **النعيمي ، أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، 1997م ، ص 22-29.**

[4] **المسيري ، عبد الوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ،د.ط ، بيروت 1998م ، ص 101.**

داخل دولة [1] . وفي هذه الأثناء سيطر على اليهود خلال الصراع المذهبي في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي فكرة الخلاص من الدول التي كانت تضطهدهم حسب اعتقادهم [2] .

من خلال تلك الأحداث في أوروبا وخاصة إسبانيا ، استلهم اليهود فكرة المسيح المنتظر لينقذهم مما هم فيه من ظلم وهوان وبدأوا بالهجرة للدولة العثمانية بأعداد كبيرة نظراً للتسامح الذي ميز العثمانيين عن غيرهم في أوروبا . ومن خلال المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع أوروبا والخاصة بحقوق الأقليات الدينية في الدولة ، حصل اليهود على العديد من الامتيازات ومنها حق إقامة شعائرهم حيث مارس الحاخام الأكبر لليهود شعائره في العاصمة استانبول[3] . وحسب هذه المعاملة من العثمانيين فقد وصل اليهود لمكانة مرموقة علمياً وتجارياً وتمتعوا بما يشبه الاستقلال الذاتي والإداري والطائفي . حيث كان اليهود الذين وفدوا من إسبانيا أصحاب مهن وحرف وتمكنوا من إدخال أول مطبعة إلى الدولة العثمانية عام 1493 م عندما نزحوا من اسبانيا بالإضافة إلى أن النقود الاسبانية والبرتغالية التي جلبها هؤلاء كانت عملة مفضلة بالنسبة للعثمانيين ، فكان اليهود يستخدمونها في شراء المواد الباهظة الثمن[4] .

وقد كان خطأ الدولة العثمانية حسب رأي (محمد حرب) أنها لم تعي حقيقة الشخصية اليهودية التي فتحت لها أبوابها من مصراعيها من حرية واستقلال داخل أراضيها. من هذا المنطلق انتشرت في أوساط اليهود فكرة مفادها أن المسيح المنتظر سيظهر في أوساط اليهود عام 1648م بالتحديد، والمسيح كلمة عبرانية تعني المطهر، وتعني الرجل الذي طهره (يهوه) أي الإله عند اليهود. كما يطلق هذا اللفظ عند اليهود في التوراة على الملوك و الأنبياء. وفي المعنى الخاص، المخلص الذي سيخلص بني إسرائيل [5].

وسط هذه الظروف التي تحيط باليهود ، ظهر شخص اسمه سبتاي زيفي أسباني الأصل والده موردخان زيفي السمسار اليهودي المعروف بين العثمانيين باسم (قرة منتشة) حيث اشتهر بالذكاء والطموح ، ومعرفة بالأمور الدينية وقواعدها وأصولها اسحاق دلبع التي تعلمها من أستاذه ، وكان سريع البديهة مما مكنه من الانتصار على منافسيه ثم أصبح سبتاي حاخام مدينة أزمير بعد تعلمه التوراة والتلمود [6]. ولقد تعلم من النصوص العبرانية حسب منهج

---

[1] الشناوي ، عبد العزيز ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو – مصرية ، ج2 ، د. ت ، ص 75.

[2] سمحت الدولة العثمانية لليهود المهاجرين من أوروبا الإمامة في أراضيها، ولقد سبق وتوسطت لهم (روكسلانة) زوجة السلطان سليمان القانوني الروسية اليهودية الأصل ، التي أنجبت منه ولدين بايزيد وسليم الثاني ، ونجحت بإفساح المجال لولديها بولاية العهد بعد مقتل مصطفى الولد الأكبر للسلطان من أمه الشركسية. عبد الله التل ، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، القاهرة 2000م ، د.ط ، ص 29. كما حصلت روكسلانة على مرسوم من السلطان بالموافقة على هجرة اليهود للدولة العثمانية ، حيث أقام قسم منهم في أزمير، ومنهم ظهرت أسرة (زيفي) ومنها ظهر سبتاي زيفي الذي ولد عام 1626م والذي انتسب له الدونمة . شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي العهد العثماني ، المكتب الإسلامي ، د.ط بيروت ، 1987م ، ص 203.

[3] اوكي ، ميم كامل ، السلطان عبد الحميد بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي ، د. ط ، القاهرة 1992م ، ص 56.

[4] درويش ، هدى ،العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، دار القلم،ط1 دمشق،2002م،ج1، ص99.

[5] حرب ، محمد ، يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد، مجلة العربي ، العدد 55 ، 1980م ، ص 44.

[6] التلمود ، إيضاحات وتفسيرات للتوراة ، (أقوال الحاخامات) ومنزلتها لدى اليهود أرفع من منزلة التوراة ، انظر ، الخيون ، رشيد ، الأديان والمذاهب بالعراق، لندن 2002م ، د.ط ، ص 313.

القابلا (Kabbalah)[1] أن ظهور المسيح سيكون عام 1648م، ثم كتب كتاباً أسماه (سر العقيدة الصحيح) يقول فيه بضرورة الإيمان بإلهين ، واحد للعالمين وآخر لليهود، وأن رب العالمين هو العلة الأولى ومنه أتى إله اليهود ، وأن إله إسرائيل هو الوجود والموجودات مع الاعتقاد بالـ(شخيناه) وهي حلول الله في الشعب[2] .

في عام 1648م ألقى سبتاي زيفي أول بيان للشعب اليهودي قال فيه : (من أول ابن لله سبتاي زيفي ، المسيح مخلص شعب إسرائيل إلى جميع أبناء إسرائيل .. السلام .. لما كان قد قدر لكم أن تكونوا جديرين برؤية اليوم العظيم وإنجاز وعد الله إلى أبنائه، فلا بد أن تغيروا أحزانكم فرحاً وصومكم مرحاً ، لأنكم لن تبكوا بعد الآن فاستمتعوا وغنوا واستبدلوا باليوم الذي كان من قبل يقضي في حزن وآلام ، يوم عيد ، لأني ظهرت) [3] . واجه سبتاي زيفي معارضةً قوية من قبل حاخامات أزمير وعدوه مختل عقلياً ، وبلغوا السلطات العثمانية عنه فيما بعد ، فهرب مع أتباعه إلى سالونيك[4] مركز رجال القبالا وعاش بها بأمان لثماني سنوات ، وعندما أصدر اليهود بياناً بكفره هرب إلى أثينا ثم عاد إلى أزمير فاستانبول مرة أخرى[5] .

في عام 1663م سافر سبتاي إلى القدس معلناً قدوم الخلاص على يديه وأنه المسيح المنتظر والمتصرف والمتحكم بمصير العالم كله ، وأن له أثني عشر حوارياً يمثلون أسباط بني إسرائيل [6] وفي مصر آمن به واتبعه رئيس الطائفة اليهودية في القاهرة رفائيل يوسف جلبي ومنحه أموالاً كثيرة لمساعدة يهود القدس . وفي غزة اتبعه ناثان هاليفي المعروف بناثان الغزاوي وهو من أصل ألماني أشكنازي حيث أعلن أنه النبي المنتظر وقال في بيان لأتباعه أن التغييرات التي تطرأ على مزاج سبتاي هي عبارة عن الصراع الداخلي في كيانه بين الخير والشر[7].

وهكذا انهالت على سبتاي زيفي الوفود من أزمير ، وأدرنة ، وصوفيا ، واليونان ، وألمانيا، ورودس ، وقاموا بمنحه تاج ملك الملوك ، وقام اليهود من أتباعه بالامتناع عن الدعاء للسلطان العثماني محمد الرابع ، وقاموا بالدعاء لملكهم ونبيهم المنتظر سبتاي حتى في المعابد اليهودية في استانبول ، وكانت بعض كلمات هذا الدعاء تقول : (إن الذي يمنح الخلاص للملوك والحكم للأمراء ، مالك الملك الأبدي الذي خلص عبده داوود من السيف القاتل ، الذي يعبد طرقاً في البحر ، ويشق سبلاً في المياه العظيمة .... ملك الملوك سبتاي زيفي ليحفظه الملك الأكبر ويمنحه الحياة ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير ، آمين)[8]

بعد أن جمع سبتاي عدداً كبيراً من الأتباع ، أباح لهم النطق باسم يهوه (اسم الله الأعظم) بعد أن كان ممنوع النطق به ، حيث كانوا ينادونه أدوناي أي سيدنا ، وأعلن سبتاي أن غضب الله قد زال عن الأمة بإرساله لهم وأن الاسم

[1] شاهين ، ثريا ، دور الكنيسة في الدولة العثمانية ، ترجمة ، محمد حرب ، استانبول ، 1997م ، ص 118. والقابالا عند المؤمنين بها هي تعلم جميع المعاني الرمزية لتجسيم الله والقباليون يدعون أن كتاب التكوين عندهم مأخوذ من موسى ، وموسى استمده من إبراهيم ، ويبحث هؤلاء في معرفة الإشارات التي تنبئ بقدوم المسيح اليهودي . أنظر ، سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 403 .

[2] درويش ، هدى ، حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، ط1 ، 2003م ، ص 18.

[3] شلبي ، أحمد ، اليهودية ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1992، ص 244.

[4] سالونيك في الوقت الحاضر ميناء يوناني تبعد عن اسطنبول حوالي 250كم ولها موقع تجاري مهم دخلت إلى حكم العثمانيين عام 1430م حتى 1913م، حيث تخلى عنها العثمانيون بموجب معاهدة بوخارست ، النعيمي ، أحمد نوري ، يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد والمواقف ، ط1 ،دار البشير، بيروت ، 1995 ص26.

[5] درويش ، هدى ، حقيقية يهود الدونمة ، ص 21.

[6] عثمان ، أحمد ، تاريخ اليهود ، ص 57.

[7] المسيري ، عبد الوهاب ، اليد الخفية ، ص 99.

[8] درويش ، هدى ، حقيقية يهود الدونمة ، ص 21 .

المحرم أصبح محلل [1]. ذاع صيت سبتاي زيفي والخلافات بينه وبين اليهود التقليديين في استانبول ، فأمر الصدر الأعظم فاضل أحمد كوبرلي بالقبض عليه ، إذ تم سجنه في سجن زندان قابو في استانبول عام 1666م بتهمة ادعاءه النبوة[2] ثم أُرسل إلى أدرنة للمحاكمة ، حيث حضر وكيل الصدر الأعظم مصطفى باشا وشيخ الإسلام منقاري زادة يحيى أفندي ، وإمام السلطان الواعظ محمد أفندي الواني ، كما حضر رئيس الأطباء حياتي زادة مصطفى أفندي وهو يهودي أسلم بالظاهر يتحدث اللغة الإسبانية كمترجم لسبتاي زيفي ، وبعد المرافعات صدر القرار بإعدام سبتاي زيفي ، إلا أن تدخل رئيس الأطباء الذي طلب من زيفي إعلان إسلامه للعفو عنه منع ذلك ، وبالفعل أعلن سبتاي زيفي الإسلام فأطلق السلطان سراحه[3] .

بعد أن تم إطلاق سراح سبتاي زيفي جرت مراسيم إعلان إسلامه بتغيير أسمه لمحمد عزيز أفندي ثم اغتساله ونطقه للشهادتين ، ولبس الجبة والعمامة ، ثم تم تسليمه مهام رئيس البوابين في القصر السلطاني وبمرتب شهري مائة وخمسون أوقية فضية عثمانية . بعد ذلك أرسل رسالة إلى أتباعه يقول فيها : (جعلني يهوه مسلماً أنا أخوكم محمد البواب هكذا أمرني فأطعت) وبما أن الكتب اليهودية تذكر أن المسيح سيتبعه المسلمون أكد على أن: (كيان سبتاي القديم صعد إلى السماء وبأمر من يهوه ترك ملكاً يستمر في كونه المسيح ولكن تحت جبة وعمامة) [4] . وهكذا فهم اليهود مراد سبتاي من كلامه وكانت هذه بداية يهود الدونمة (Donmeh)[5]. وهي كلمة تركية مركبة من كلمتين دو وتعني اثنين بالفارسية ، ونما وتعني نوع وتعني الكلمة الفرقة القائمة على نوعين اليهودية والإسلام ، ولقد أطلق العثمانيون على اليهود المتظاهرين بالإسلام اسم دونمة وهي مشتقة من فعل دونمك أي عاد ورجع ، أما المصدر منه فيعني المرتدون عن دينهم[6] .

تقدم سبتاي زيفي بطلب إلى السلطات العثمانية يطلب فيه أن يقوم بدعوة أتباعه للدخول بالإسلام ، وبناء عليه فقد دخل عدد كبير منهم الإسلام ظاهرياً ، وأصبح لكل يهودي اسمان اسمه السابق وأسم مسلم ، وأصبحوا يمارسون الشعائر الإسلامية من صلاة ودخول للمساجد وصوم وحج ، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم ولباسهم وشعائرهم باللغة الإسبانية ، وبسبب التقارير التي رفعها الأمن العثماني عنهم وعن أفكارهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ، اتضح للحكومة العثمانية بعد حوالي 10سنوات أن إسلام سبتاي كان ظاهرياً فقط لينجو مع أتباعه وأن هدفهم كان ضرب الإسلام من الداخل[7] .

قامت السلطات العثمانية في زمن السلطان محمد الرابع باعتقال سبتاي زيفي وبعض أتباعه داخل المعبد اليهودي وهو يرتدي الزي اليهودي وكانوا محاطين بالنساء ويشربون الخمور ، وقد اتهم سبتاي بأنه يدعو المسلمين

---

[1] ظاظا ، حسن ، الفكر الديني اليهودي ، دار القلم ، ط4 ، 1999م ، ص125.

[2] البوسيري ، عبد الرحمن ، اليهودية والماسونية ، القاهرة 1999م ، د.ط ، ص 32.

[3] عبد الحكيم ، منصور ، عبد الحميد الثاني المفترى عليه ، القاهرة ، 2010م ، ص112.

[4] النعيمي ، أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، ص 44.

[5] الدونمة كلمة تركية تعني المتخفي، انظر، هاشم ، جلال ، الأقلية اليهودية في تركيا ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة، العدد، 131، ص91. أو الردة وتطلق على اليهود الذين يعلنون إسلامهم ظاهرياً ويكتمون تمسكهم بالديانة اليهودية، أنظر، قطب ، محمد علي ، ماذا تعرف عن يهود الدونمة، دار الأنصار ، ط، 1القاهرة ، 1987، ص9.

[6] النعيمي ، أحمد نوري ، اليهود والدولة العثمانية ، ص34.

[7] حرب ، محمد ، مذكرات السلطان عبد الحميد، القاهرة 1998م، د.ط ، ص92.

للارتداد عن دينهم[1]. وأما أتباعه من اليهود فيبقون على دينهم وكان يعظهم باللغة العبرية، فتمت محاكمته في قصر السلطنة القديم في أدرنة ، وحكم عليه بالإعدام ، غير أن شيخ الإسلام اعترض على الحكم كي لا يدعي أتباعه عروجه للسماء[2] ، وتم نفيه إلى مدينة دولكون (Dolcigno) بألبانيا عام 1673م وتوفي فيها في الثلاثين من أيلول 1675م[3]. ولا يزال الكثير من أتباعه يؤمنون بعدم موته حسب عقيدتهم في القبالا التي تقول بتناسخ الأرواح بقولهم: (سبتاي زيفي نحن في انتظارك) . ولا تزال عقيدتهم موجودة حتى اليوم لدى بعض اليهود في مدينة سالونيك[4] .

بعد وفاة سبتاي زيفي جمع يعقوب جلبي وشقيقته (يوهيفيد) زوجة سبتاي ، أتباعهما من يهود الدونمة وكانوا يشكلون القرابة 200 أسرة ، وذهبا بهم إلى سالونيك حيث انضم إليهم الكثير من دونمة أوروبا [5] . وعندما تسلم يعقوب جلبي زعامة الدونمة في سالونيك حضّهم على ممارسة الشعائر الدينية، وقسمهم إلى مجموعتين هما : الأغنياء والفقراء ، وكان لكل منهما زي خاص ، وتلقبوا باليعاقبة (يعقوبلر) ، إذ ادعى اليعاقبة أن روح سبتاي زيفي انتقلت إلى جسد يعقوب جلبي ، ثم قام بالحج لتغطية يهوديته ، وتوفي وهو هناك[6] .

أثناء ولاية مدحت باشا لسالونيك ، تنبه لارتداء الدونمة أزياء خاصة إلا أنه لم يعترض على ذلك ولم يطلب منهم تغيير عاداتهم ، حتى أنهم تلقوا المساعدات المالية من الطريقة البكتاشية في سالونيك ، حيث حاول الدونمة كثيراً التقرب من الطرق الصوفية للاستفادة منها مالياً وكنوع من أنواع النفاق والمداراة والتظاهر في محاولة لإثبات إسلامهم الشكلي ،ولقد كان من هؤلاء من تسلم مناصب رفيعة ومهمة في الدولة العثمانية أمثال رئيس بلدية سالونيك (حمدي بك)،وأمين الترسانة ، وكتخدا القصر السلطاني ، وكتخدا المدينة ، وأمين الصرة[7] .

دبت الخلافات في جماعة دونمة اليعاقبة وأعلن مصطفى جلبي الانشقاق عن الجماعة للخلاف حول تأدية الشعائر الإسلامية حيث كانت الجماعة الجديدة ترى أن لا ضرورة للقيام بها ولا الالتزام بالتقاليد العثمانية ، وتسموا باسم (القره قاشيون) ، والمهم ذكره أن جاويد بك ناظر المالية من أعضاء هذه الجماعة الجديدة [8] ، ومنهم فائق نزهت نزهت أحد وزراء المالية في الدولة العثمانية،وعبدي ابيكجي وكانت لهما علاقات مع البولونيين[9] .

استمر الصراع قائماً بين طوائف الدونمة حتى القرن التاسع عشر الميلادي ، وبلغ الحد بينهم أنهم كانوا يحرمون البيع والشراء من أي طائفة بينهم ، ولا يمكن زواج بنات طائفة من طائفة أخرى ، وتم إزالة هذه المجموعات اليهودية بقيام الدولة التركية الحديثة ، وحاولوا التخفي والانصهار بين الأتراك ، وعلى الرغم من ذلك فقد بقي يهود الدونمة في تركيا محافظين على تقاليدهم وشعائرهم، وخصوصاً بعض المثقفين أمثال (خالدة أديب) ، و(شفيق حسني)،

---

[1] **النعيمي ، أحمد نوري ، يهود الدونمة ، ص41.**

[2] **درويش، هدى ، العلاقات التركية اليهودية، ص 90.**

[3] **طوران ، مصطفى ، أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال خوجة، استانبول ، 2000م ، ص 63.**

[4] **النعيمي ، أحمد نوري ، يهود الدونمة ، ص 42-45 .**

[5] **المرجع السابق، ص 47-54.**

[6] **درويش ، هدى ، العلاقات التركية اليهودية، ص 91.**

[7] **طوران، مصطفى ، أسرار الانقلاب العثماني ، ص 22-27.**

[8] **Ilgaz Zorlu, Turkiye Sabetaycilige , Istanbul , 1998, p 95. اليغاز زورلو مؤلف كتاب السبتائية في تركيا ، هو يهودي من سالونيك ولد عام 1969م ، تخرج من جامعة بورصة عام 1990م، ثم ذهب إلى القدس ليعمل ببعض الدراسات في معهد بن زيفي الذي يحتفظ بأهم مصادر يهود الدونمة في الدولة العثمانية ، واليغاز هو الحفيد السادس لشمس أفندي مدرس كمال أتاتورك ويعتقد زولو وهو سابتائي ، أن سابتاي زيفي هو واضع أكبر نظرية للساباتائية في منهج التصوف اليهودي.**

[9] **Ibid , p,128.**

وعائلة ايبكجي[1] . كما أصبحت المؤسسات التعليمية ليهود الدونمة مثل مدرسة (الفيزية) و(الترقي) من أكبر مدارس تركيا تطوراً، وكانت الأسس التي يسير عليها الساباتائيون تتفق مع الماسونية واليهودية، ولقد درسوا الثقافات واللغات الأجنبية ، ومع هذا فقد كانوا يخفون أصولهم[2].

يتميز الجيل الحديث من يهود الدونمة بمحاولته إزالة كل أسباب الخلاف بين المجموعات الساباتائية والاندماج في المجتمع التركي ، كما يحاولون التخلص من لقب الدونمة الذي يحملونه ، بسبب صعوبة العمل على وجود طائفة منغلقة على نفسها وسرية في تركيا في الوقت الحالي نتيجة الثورة الاجتماعية التي حدثت في تركيا وأدت إلى انصهارهم بالمجتمع[3].

ثالثاً: تأثير الحركة الاقتصادية والسياسية ليهود الدونمة في الدولة العثمانية :

تغلغل يهود الدونمة في مؤسسات الدولة العثمانية كافة بطرق سرية من خلال أغنياء اليهود ، الذين تسللوا إلى أجهزة الدولة السياسية والاقتصادية ، بقصد فرض نفوذهم وسيطرتهم على الدولة العثمانية وقراراتها الداخلية والخارجية ، فأصبحوا أصحاب قرار وتأثير قوي وكبير داخل الدولة . ومن الصعوبة بمكان الفصل بين الدور الاقتصادي والدور السياسي للدونمة ، فالاقتصاد هو محرك السياسة ، ومن هنا جاءت قوة ونفوذ يهود الدونمة وخاصة أواخر عهد الدولة العثمانية ، ولكننا سنحاول في هذا البحث قدر الإمكان التحدث عن كل دور على حدة .

1. تأثيرهم الاقتصادي في الدولة العثمانية :

قامت الدولة العثمانية بمنح اليهود عامة والدونمة خاصة الفرص للعمل في كافة مرافق البلاد الاقتصادية بحرية تامة نتيجة نظام الامتيازات الذي كفلته لرعاياها ، ولاسيما أن اليهود كانوا أصحاب مهن وخبرة في مجال التجارة والصيرفة ، ونتيجة لتلك الامتيازات تسلل يهود الدونمة إلى الميزان الاقتصادي العثماني عن طريق شركات الصرافة اليهودية الأوروبية والأميركية فيما بعد التي كانت تمنحهم المساعدات المالية ، الأمر الذي ساعد على ازدهار حركة الاقتصاد العثماني ، ناهيك عن العملات الإسبانية والنمساوية التي أحضرها اليهود معهم إلى الدولة العثمانية ، حيث كان العثمانيون يفضلون تلك العملات كثيراً ويستخدمونها في شراء السلع الغالية الثمن [4] . كما أدت شخصيات يهودية دوراً بارزاً في الاقتصاد العثماني ومنهم (جاويد بك) الذي تسلم منصب وزير المالية في الدولة العثمانية بصلاحيات واسعة ، فكان يعقد الصفقات الاقتصادية الكبرى ويقوم بتدبير الأموال اللازمة لهجرة اليهود إلى فلسطين وكان على علاقة واسعة مع أثرياء يهود باريس ، حيث مارس ضغوطاً كبيرة على العثمانيين لأجل هجرة اليهود إلى فلسطين وتحقيق أهدافهم[5] . ومن الشخصيات التي كانت تسيطر على شركات كبيرة جداً في الدولة العثمانية ، موشيه الآتيني الذي كان يملك مصنعاً للتبغ إلى جانب سيطرته على عدد من الشركات التجارية التي كان لها دور مؤثر في الاقتصاد

---

[1] **ikmet Tanyu, Tarih Boyunca Yahudiler ve Turkler, Istanbul, 1976, C.II,p.722-723.**

طانيو ، حكمت ، اليهود والأتراك عبر التاريخ ، ج1 ، استانبول ، 1976م .

[2] **Ilgaz Zorlu Turkiye Sabetaycilige, p147.**

[3] **النعيمي ، أحمد نوري ، يهود الدونمة ، ص65.**

[4] **درويش ، هدى ، حقيقة يهود الدونمة ، ص33.**

[5] **زهر الدين، صالح ، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع ، كفر نبرخ ، 1998م ، ص90.**

العثماني ، كما امتهنت عائلة الآتيني تجارة الأفيون والنبيذ والخضار والفاكهة في الأناضول دون أن يترتب عليهم أية رسوم أو ضرائب[1] .

2. تأثيرهم السياسي في الدولة العثمانية :

يرى بعض المؤرخين الأتراك أن رجال طائفة يهود الدونمة محرومون من الشعور بالانتماء إلى الأمة والوطن ، حيث أنهم دخلوا الإسلام خوفاً وقهراً ، وانتسبوا للمجتمع العثماني كعبيد ، فكانوا ينظرون إلى العثمانيين نظرةً حاقدة وسيئة[2]. وذلك على الرغم من تغلغلهم الاقتصادي والسياسي في كيان الدولة العثمانية والجمهورية التركية الحديثة ، حيث شغلوا مناصب قيادية في الدولة . وقد شهدت السنوات التي سبقت تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم سيطرة يهود الدونمة والماسونية بشكل كبير على سياسة الدولة ، ومنها محاولة وزير الخارجية مصطفى رشيد باشا الذي أصدر تشريعات أواخر حكم السلطان محمود الثاني عام 1839م تشجع الأقليات في الدولة العثمانية على محاولات الانفصال عن الدولة ، وأصدر تشريعات أخرى تدعو إلى التغريب تحت مسمى الإصلاحات، وعلى الرغم من أن تشريعاته قوبلت بالرفض من قبل علماء الدين وطرده من الحكومة عام 1841م ، إلا أنه عاد مرة ثانية عام 1845م وتولى منصب الصدر الأعظم ولم يعزل إلا عام 1858م[3] .

استمرت التشريعات البعيدة عن الشريعة الإسلامية في عهد الدولة العثمانية في عهد كل من السلطانين عبد المجيد الأول (1839- 1861م) وأخيه عبد العزيز(1861-1876م) ، كتشريعات الوالي مدحت باشا الدونمي الأصل والذي أصبح الصدر الأعظم ، وخطط لقتل السلطان عبد العزيز في محاولة لتولية مراد الخامس ابن السلطان عبد المجيد الأول والذي كان عضواً في المنظمات الماسونية اليهودية[4]. بعد محاولة السلطان عبد العزيز العودة بالحكم حسب التشريعات الإسلامية ، لكن نتيجة الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام حسن خير الله بجواز عزل مراد الخامس عن الحكم (1876- 1876م)، أمضى بقية حياته في قصر جراغان ،وتولى الحكم بعده السلطان عبد الحميد الثاني(1876- 1909م)والذي تم إجباره في بداية حكمه على قبول كافة التشريعات والإصلاحات الممهدة لإعلان النظام الجمهوري[5].

ومن خلال الدور الذي أداه يهود الدونمة في إضعاف الدولة العثمانية عن طريق حركة (جون ترك) وهي جمعية سرية تابعة للجمعية الماسونية الفرنسية وكانت تعمل من سالونيك حيث ضمت أكثر يهود أوروبا نفوذاً وثراءً. و(جمعية الاتحاد والترقي) إذ كان هؤلاء الدونمة على رأس هذه الحركات التي بذلت الجهد الكبير لتنحية السلطان عبد الحميد الثاني عن السلطنة بزعامة رئيسهم الدونمي (رمزي بك) والذي بدلاً من محاكمته عسكرياً بسبب سوء تصرف الجنود الذين كانوا تحت إمرته عُينَ رئيساً لأركان حرب السلطان محمد الخامس[6]، وكان المحامي (قره صو) اليهودي اليهودي الدونمي ضمن الوفد الذي أخبر السلطان عبد الحميد الثاني بقرار عزله عن الحكم في الدولة العثمانية، وكان

---

[1] **درويش ، هدى ، حقيقة يهود الدونمة ، ص34.**

[2] **Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, c1.Istanbul,1972,p.354.**

دانشمند ، إسماعيل حامي ، تقويم التاريخ العثماني الموضح، استانبول، 1972م ، ص 354.

[3] **الزيدي ، مفيد ، العصر العثماني ، عُمان ، 2003م ، ص 255.**

[4] **عبد الحكيم ، منصور ، عبد الحميد الثاني ، ص 402.**

[5] **المرجع السابق ، ص402.**

[6] **وثائق في الماسونية ، مخطوط مركز بحوث العالم التركي ، القاهرة . انظر في الملحق صورة أعضاء جمعية جون ترك في اجتماعهم عام 1902م في باريس .**

موشيه الآتيني الدونمي المرافق الخاص للسلطان عبد الحميد بعد نفيه إلى سالونيك [1]. وفي هذا المجال يؤكد السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته عن مدحت باشا وأهدافه الماسونية فيقول: (لقد وجدت مدحت باشا ينصب نفسه آمراً ووصياً عليّ ، وكان في معاملته بعيداً عن المشروطية والديمقراطية وأقرب إلى الاستبداد) [2]. وعلى الرغم من ذلك فقد شهد عهد السلطان عبد الحميد الثاني تسامحاً كبيراً مع اليهود وهذا ما جاء في كتابات اليهود ، حيث ذكرت الموسوعة اليهودية أن السلطان عبد الحميد الثاني عامل اليهود معاملةً طيبة [3] ، وهذا الأمر أكده صديقه الشخصي اليهودي (ارمنيوس فامبيري) [4] الذي قال : (خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان عبد الحميد الثاني منذ سنوات طويلة ، كان لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود وكان أول حاكم تركي يعطيهم المساواة مع المسلمين أمام القانون ، وعندما استلم الحكم أمر بمنح راتب شهري لحاخام تركيا الأكبر ، واتخذ تقليداً بأن يرسل سنوياً في عيد الفصح مبلغ ثمانية آلاف فرنك إلى حاخام استانبول لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية ، وعندما أعلنت سلطات كريت المحلية عام 1881م منع اليهود المشاركة بالانتخابات البلدية ، ألغى السلطان هذه الانتخابات ووبخ سلطات كريت ، وعندما حدث حريق عام 1882م في الحي اليهودي (حسبنكي) وتشردت ستة آلاف عائلة يهودية ، بذل السلطان ما باستطاعته لتخفيف هذه الكارثة على اليهود)[5]

رابعاً: علاقة يهود الدونمة بالماسونية وجمعية الاتحاد والترقي

استطاع يهود الدونمة أن يستغلوا ويحاولوا الاستفادة قدر المستطاع من الجمعيات الماسونية السرية التي أنشأت في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية لتحقيق أهدافهم وغاياتهم في السيطرة ليس فقط في الأناضول بل عالمياً ولأجل إقامة مملكة صهيون العالمية[6]، ومن تلك الجمعيات الماسونية : البناء الحر[7] وأخوة الشيطان[8] ، وشهود يهوه[9] ،

---

[1] عبد الحكيم ، منصور ، عبد الحميد الثاني ، ص 446.

[2] حرب، محمد ، يهود الدونمة ، ص121.المشروطية وتعني الدستور العثماني والذي يحدد سلطات الحاكم. ومدحت باشا (1822-1885م) تولى منصب الصدر الأعظم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، كان أكبر الداعين للأخذ عن الغرب ومن الداعمين لتحجيم دور السلطان عن طريق إعلان الدستور وكان له الدور في الحرب مع روسيا وهزيمة العثمانيين ، وقد نفاه السلطان خارج الدولة .

[3]النتشة ، رفيق شاكر ، السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الذي فقد عرشه في فلسطين) ، دار الكرمل ، ط1 ، عمان ، 1984م ، ص27.

[4] المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية ، دار الشروق ، ط1 ، م2 ، ج2، القاهرة 1999م ، ص306.

[5] النتشة ، رفيق شاكر ، السلطان عبد الحميد وفلسطين ، ص 27.

[6] طعيمة ، صابر ، الماسونية ذلك العالم المجهول ، دار الجيل ،د.ط ، بيروت 1975م ، ص15.

[7] تعمل هذه الجمعية الماسونية على بث الدسائس السياسية تحت شعار الإخاء والصداقة، انظر ، زغروت ، محمد محمد إبراهيم ، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، 1995م ، ص 25.

[8] أخوة الشيطان: وتلك الجماعة تتخذ من الشيطان زعيماً لها، لأنه كما يدعون أنه تزعم ثورة الملائكة في السماء، ورفض أن يسجد لآدم، ويعتقدون أنه لا وجود لله ، ورمز معبدهم صورة امرأة عارية ونجمة خماسية رمزاً للشيطان ، وأول ما ظهرت هذه الجمعيات كانت في سان فرانسيسكو عام 1966م . انظر عبد العفو ، داوود ، القوى الخفية اليهودية العالمية الماسونية، دار الفرقان، د.ط، 1983م ، ص328-330.

[9] شهود يهوه: جماعة يهود يتظاهرون بالمسيحية تحقيقاً لرغباتهم، ويزعمون أنهم يدعون للخير، لكن أهدافهم تسعى لإقامة مملكة يهوه. انظر، حرب ، محمد ، شهود يهوه ، سلسلة دراسات تاريخية،ط2،بيروت،1983م، ص36-37.

وأصحاب القداس الأسود[1]، وبني برت[2] .

كما كان ليهود الدونمة الصلة الوثيقة بالصهيونية خلال فترة اضمحلال النفوذ العثماني وضعف الدولة العثمانية ، من خلال الدور الذي أداه الدونمة في الحركة الصهيونية التي كانت تنادي بفلسطين وطناً قومياً لليهود ، ودورهم في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي عام 1889م والتي كان لها التأثير الكبير على مجريات الأمور في نهاية الدولة العثمانية وتركيا الحديثة فيما بعد. فمن هؤلاء الدونمة الذي كان لهم الدور في تأسيس الاتحاد والترقي المحامي اليهودي(عمانويل كراسو)والذي استطاع إقناع أعضاء الجمعية بعقد جلساتهم السرية داخل المحفل الماسوني(مكدونيا ريزورتا)الذي أسسه اليهودي الدونمي السلانيكي قره صو، مستفيداً من معاهدة الامتيازات الأجنبية التي كفلت الحصانة للرعايا الأجانب وحمايتهم وأملاكهم من القضاء العثماني إلى درجة منع تفتيش منازلهم[3].

ولأجل إحكام سيطرة الدونمة على جمعية الاتحاد والترقي والتحكم برجالاتها من مدنيين وعسكريين ، أقنع عمانويل كراسو أعضاء الجمعية بالانضمام رسمياً للمحفل الماسوني مكدونيا بحجة أن مقر المحفل هو منزل لأحد الرعايا الأجانب والذي يتمتع بحصانة من التفتيش ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لقيت جمعية الاتحاد والترقي الدعم المالي من يهود الدونمة بهدف تنفيذ برنامج اليهود في الدولة العثمانية ، حتى أصبح الناس يقولون أن جمعية الإتحاد يهودية ماسونية وهذا ما أكدته وثيقة بريطانية عام 1910م مرسلة من السفير البريطاني في استانبول لوزارة الخارجية البريطانية[4] . إذ تقول (إن جمعية الاتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً تركياً يهودياً مشتركاً فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ، واليهود يمدونها بالعقل المدبر . إذ أن اليهود يسعون للسيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة، ولكي يصل اليهود إلى مكان النفوذ في تركيا الفتاة فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية)[5] . ولقد كانت جمعية الاتحاد والترقي في السابق فرعاً لحزب تركيا الفتاة الذي تأسس على أيدي الأتراك المثقفين بالثقافة الفرنسية بزعامة (أحمد رضا بك) ، وكانت تعمل في الخفاء ولها مراكز في سالونيك واستانبول وبرلين ، وفرع سالونيك بالتحديد كان يضم معظم الضباط العثمانيين ، ومن بينهم طلعت بك الذي تولى رئاسة الوزراء فيما بعد[6].

اتخذت جمعية الاتحاد والترقي شعاراً لها الحرية والمساواة بين شعوب الدولة ، واشتهرت بإشاعة الدعايات ضد السلطان عبد الحميد الثاني . وكانت المحافل الماسونية في فرنسا وإيطاليا تقوم بتقديم الدعم المالي والسياسي

---

[1] أصحاب القداس الأسود: ظهرت في جنوب فرنسا ضد الكنيسة ويدعون إلى الانضواء تحت لواء الشيطان ومحاربة الأخلاق، وتعود بأصولها إلى القبالا اليهودية وتعتمد على السحر والشعوذة. انظر، الشناوي ، فهمي ، مصرع الخلافة العثمانية ، المختار الإسلامي ، القاهرة 1995م ، ص 69.

[2] بني برت : وهي جمعية ماسونية تأسست في نيويورك عام 1834م من كبار زعماء اليهود في العالم أمثال : (ناحوم سوكولوف)، و (حاييم وايزمن) ، و (مائير برلين) ، وتزعم أنها تنشر الخير بين الناس ،وكان لها فرع في كل بلد يدرس الوضع الاقتصادي والسياسي فيه، وبني برت كلمة عبرية تعني أصحاب العهد ،انظر، المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام، القاهرة1975م ، ص108.

[3] حسن، محمد توفيق، دور اليهود والماسونيون في الانقلاب 1908م (وثيقة مترجمة)، مجلة آفاق عربية، ع9، أيار 1978م، ص58.

[4] درويش، هدى ، العلاقات التركية اليهودية، ص 356-367.

[5] الخولي ، حسن صبري ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، مج 2 ، دار المعارف بمصر ، 1970م ، ص 107.

[6] درويش ، هدى ، يهود الدونمة ، ص107-108.

والإعلامي للجمعية لتباشر نشاطها ضد السلطان عبد الحميد الثاني داخل الدولة العثمانية وخارجها [1] . حيث كان عدداً كبيراً من أعضاء هذه الجمعية من يهود الدونمة ممن كانوا يعيشون في أوروبا ، وكانوا على صلة كبيرة بالدبلوماسية الأوروبية التي تمدهم بالمساعدات وخاصة من فيينا وبودابست وبرلين وباريس ولندن[2] .

خطط يهود الدونمة مع جمعية الاتحاد والترقي لإلغاء السلطنة العثمانية وتأليب الرأي العام المسلم ضدها، فاتبعوا إجراءات عدة لتحقيق هدفهم ومنها :

1. إثارة الأقليات غير المسلمة كالأرمن ضدّ السلطان عبد الحميد الثاني ، بهدف إقامة دولة أرمنية في الأناضول . واستغلال الطوائف المسيحية الأخرى للتمرد على الدولة العثمانية ، وهذا ما يؤكده السلطان عبد الحميد في مذكراته بقوله : (لم أكن أُدهش لهيام الأرمن بحب الاستقلال ، وخاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف ، لكني أُدهش لقيام بعض أفراد (تركيا الفتاة) الذين هربوا إلى أوروبا وأصدروا هناك صحفاً ضدّي ، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية ، كما أُدهش لأنهم كانوا يتلقون الأموال منهم)[3] .

2. تعظيم الحضارة الغربية، والعمل على تغريب تركيا، والابتعاد عن التقاليد والشعائر الدينية الإسلامية، حيث كانوا يعملون على تدريس الشباب التركي الاتجاهات الفكرية، والعادات والتقاليد الغربية [4]. بالوقت الذي أغروا فيه الطلاب الأتراك مادياً للانضمام إلى صفوفهم، ومن كانوا يريدونه ويرفض الانضمام يلفقون له التهم بالانضمام إلى الجمعيات والأحزاب السرية المناهضة للدولة[5].

3. سياسة التتريك وبعث القوميات ، حيث عمل الدونمة على إحياء القوميات الأخرى التي انصهرت في الدولة العثمانية ،وإثارة النعرات الطائفية بهدف تمزيق الدولة التي بقيت متماسكة زهاء أربعة قرون [6] . ونتيجة لتلك السياسة التي اتبعها الدونمة تم اضطهاد الأرمن مما جعل اليهود يحلون مكانهم اقتصادياً خاصة في استانبول وأزمير وسالونيك[7].لقد كانت سياسة التتريك التي عمل على ترويجها اليهود مع حزب تركيا الفتاة، قد ظهرت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وأثارت ضدّه الكثير من المعارضات ، فقاد فرع (القبانجية) من الدونمة انقلاب حزب تركيا الفتاة ضد السلطان، مما أفسح المجال أم جمعية الاتحاد والترقي لتسلم زمام الأمور في تركيا[8] .

وكان من أبرز أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من يهود الدونمة الذين كان لهم دور كبير في الحياة السياسية التركية :

نزهت فائق أحد وزراء المالية في ذلك العهد ، ومصطفى عارف أحد وزراء الداخلية في عهد الاتحاد والترقي ، مصلح الدين عادل عمل كمستشار لوزارة التعليم التركية وكان نائباً لوزير التربية [9] ورمزي بك أحد قواد الجيش أيام

---

[1] زغروت ، محمد محمد إبراهيم ، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، ص 31.

[2] حلاق ، حسان علي ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار الهدى، ط 2، جامعة بيروت العربية، 1990م، ص 297-298.

[3] حرب ، محمد ، مذكرات السلطان ، ص129.

[4] س ناجي ، المفسدون في الأرض ، العربي للإعلان والنشر ، ط2 ، دمشق ، 1973م ص314.

[5] أرمسترونج ، هـ. س . ، الذئب الأغبر ، مصطفى كمال ، دار الهلال ،د.ط، القاهرة 1952م،206.

[6] زغروت ، محمد محمد إبراهيم ، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، ص 64.

[7] أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص315.

[8] درويش ، هدى ، العلاقات التركية العربية ، ص116-117.

[9] حلاق ، حسان علي ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص 312.

السلطان عبد الحميد الثاني ثم أحد مساعدي السلطان محمد رشاد . وأحمد أمين يلمان، الذي درس الحقوق وحصل على دكتوراه بالفلسفة من جامعة كولومبيا، ثم أسس جريدة الصباح عام 1907م ثم رئيساً لتحرير صحيفة طنين عام 1908م، ثم رئيساً لتحرير جريدتي الوطن والصباح عام 1918م[1].

كان ليهود الدونمة دورهم البارز داخل جمعية الاتحاد والترقي ، فقد أوعزوا لأنصارهم لاغتيال محمود شوكت قائد الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن اصطدم بهم حيث لم يكن ماسونياً [2] . كما عملوا على اغتيال السلطان عبد العزيز لأنه كان يفضل التعامل مع الأرمن على اليهود ولإبعاده اليهود عن المراكز الحساسة في الدولة ، وعينوا مراد الخامس ، ومن بين هؤلاء المتآمرين كان مدحت باشا والي الدانوب (الطونة) ابن حاخام هنغاري وهو الذي أنشأ المدارس اليهودية في الشرق[3] وفي عام 1908م هاجر عدد كبير جداً من يهود الدونمة إلى استانبول ، حيث حيث مارسوا سياسة الضغط السياسي والاقتصادي على العثمانيين [4] . وهؤلاء هم الذين قاموا بأحداث عام 1908م في استانبول، حيث ثبت تأثير الدونمة في صفوف الجيش العثماني عندما تخفوا في زيّ الجنود وبدأوا بتحريضهم على الثورة [5].

كان السلطان عبد الحميد يعلم حقيقية يهود الدونمة في التآمر عليه مع جمعية الاتحاد والترقي، حيث طلب من حاخام استانبول (موشيه ليفي) كتابة تاريخهم له، فكتبه وتمت ترجمته للغة العثمانية ، وتقديمه للسلطان عبد الحميد ، إلا أنه لم يتخذ أي إجراء ضدهم [6] . وكان العثمانيون يعلمون هذا الأمر ويعلمون أن مركز الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد كان من سالونيك مركز الدونمة بعد أن قام السلطان عبد الحميد الثاني بإبعادهم من استانبول إليها . ومن الجدير بالذكر أنه كان ليهود الدونمة دور كبير في مذابح الأرمن شرق الأناضول ، ودخول تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا بعد إقناعهم السلطان محمد رشاد بالدخول في تلك الحرب الخاسرة ، حيث احتل الحلفاء معظم أراضي الدولة العثمانية وحاصروا استانبول ، وقبل ذلك شعر العرب بضعف الدولة العثمانية وسيطرة اليهود عليها وفساد البلاط العثماني فاختاروا الانفصال بدعم بريطاني ، حيث كان السلطان لعبة بيد الدونمة ولا يعلم ما يجري خارج قصره ، وقد كان منصبه تشريفياً فقط لكسب ولاء الشعب[7] ، بعد تعهده لبريطانيا بالموافقة على جميع شروطها ومنها[8]

1. قطع تركيا علاقتها بالإسلام .
2. إلغاء الخلافة الإسلامية .
3. القضاء على أية حركة تسعى لإحياء الخلافة .
4. وضع دستور علماني وصياغة قوانين وضعية مكان الإسلامية.

تظاهر أتاتورك مؤقتاً بالحفاظ على الخلافة وعيّن السلطان عبد المجيد بدلاً من محمد السادس الذي غادر إلى مالطة على ظهر بارجة بريطانية ، إلا أن السلطان عبد المجيد لم يمارس مهامه في الحكم . وفي عام 1924م قام

---

[1] النعيمي ، أحمد نوري ، دور يهود الدونمة ، ص 66-76.

[2] ناجي ، المفسدون في الأرض ، ص 317.

[3] الجندي ، أنور ، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، دار الاعتصام ، د.ط ، القاهرة، د.ت ، ص 125 .

[4] حلاق ، حسان علي ، موقف الدولة العثمانية ، ص311.

[5] درويش ، هدى ، العلاقات التركية العربية ، ص121.

[6] بيومي ، زكريا سلوم ، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، القاهرة 1998م ، ص 43.

[7] النعيمي ، نوري ، الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، القاهرة ، 2000م ، ص 23.

[8] عبد الحكيم ، منصور ، السلطان عبد الحميد ، ص456.

أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية ونفي السلطان خارج البلاد، وإعلان الدستور العلماني الجديد لتركيا ، وتبديل الحروف العربية باللاتينية وبدأ حكمه كرئيس للجمهورية التركية رسمياً .

الخـاتـمـة :

بعد البحث في تاريخ يهود الدونمة في الدولة العثمانية يمكن وضع النتائج الآتية :

1. تعدّ حركة يهود الدونمة من الحركات الدينية السياسية الموجهة ضدّ الدولة العثمانية كونها من أكبر الحركات الدينية التي أدت دوراً بارزاً في سقوط الدولة العثمانية .

2. عملت حركة يهود الدونمة على هدم القيم الإسلامية داخل المجتمع العثماني عن طريق نشر الإلحاد والأفكار الغربية والدعوة لرفع الحجاب .

3. قام يهود الدونمة بتأسيس المحافل الماسونية داخل الدولة العثمانية ، وأدوا دورهم البارز في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي ونشر شعارات براقة كاذبة كالحرية والعدل والمساواة بهدف جذب البسطاء من الناس والترويج للأفكار الهدامة .

4. يعدّ سبتاي زيفي أول من نادى بضرورة جعل فلسطين وطن قومي لليهود وذلك قبل هرتزل بحوالي قرنين ونصف . فهو بذلك أول من أسس الصهيونية العالمية.

5. أدى يهود الدونمة والماسونية دورهم ببث الدعايات ضدّ السلطان عبد الحميد الثاني من مركزهم في سالونيك، وتغلغلوا في صفوف الجيش العثماني لأجل الإطاحة به.

6. كان للدونمة اليد الطولى في اتخاذ القرارات في جمعية الاتحاد والترقي ، وتطبيق الدستور العلماني للدولة

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث :

1. أرمسترونج ، هـ. س. الذئب الأغبر ، مصطفى كمال ، دار الهلال ،د.ط، القاهرة 1952م.

2. اوكي، ميم كامل. السلطان عبد الحميد بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية، ترجمة إسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي ، د. ط ، القاهرة 1992م.

3. البوسيري ، عبد الرحمن . اليهودية والماسونية ، د.ط، القاهرة 1999م .

4. بيومي ، زكريا سلوم . قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، القاهرة 1998م.

5. الجندي ، أنور . اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، دار الاعتصام ، د.ط ، القاهرة، د.ت.

6. حرب ، محمد . شهود يهوه ، سلسلة دراسات تاريخية ، ط2 ، بيروت،1983م.

7. حرب ، محمد . مذكرات السلطان عبد الحميد ، د.ط ، القاهرة ،1998م.

8. حرب ، محمد . يهود الدونمة ، دراسات إسلامية تاريخية ، مؤسسة الدراسات التاريخية ، الكويت ، د. ت.

9. حسن ، محمد توفيق. دور اليهود والماسونيون في الانقلاب 1908م (وثيقة مترجمة)، مجلة آفاق عربية ، ع9 ، أيار 1978م.

10. حلاق، حسان علي . موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار الهدى، ط 2، جامعة بيروت العربية، 1990م.

11. حمدان، جمال . اليهود أنثروبولوجيا، المكتبة الثقافية 169، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.

12. الخولي، حسن صبري. سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، مج2 ، دار المعارف بمصر ، 1970م.
13. الخيون ، رشيد . الأديان والمذاهب بالعراق ، لندن 2002م ، د.ط.
14. درويش، هدى. حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، معهد الدراسات الآسيوية، ط 1، جامعة الزقازيق، 2003م.
15. درويش، هدى. العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، دار القلم ط1، دمشق ، 2002م.
16. زغروت، محمد محمد إبراهيم.دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ، 1995م.
17. زهر الدين ، صالح . اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع ، كفر نبرخ ، 1998م.
18. الزيدي ، مفيد . العصر العثماني ، د.ط ، عُمان ، 2003م.
19. سوسة ، أحمد . العرب واليهود في التاريخ ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط7، دمشق ، د. ت.
20. شاكر، محمود . التاريخ الإسلامي العهد العثماني ، المكتب الإسلامي ،د.ط بيروت ، 1987م.
21. شاهين ، ثريا . دور الكنيسة في الدولة العثمانية ، ترجمة ، محمد حرب ، استانبول ، 1997م.
22. شلبي، أحمد . اليهودية ، مكتبة النهضة الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1992
23. الشناوي ، عبد العزيز . الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو – مصرية ، ج2، د. ت.
24. الشناوي ، فهمي . مصرع الخلافة العثمانية ، المختار الإسلامي ، القاهرة 1995م.
25. طعيمة ، صابر . الماسونية ذلك العالم المجهول ، دار الجيل ،د.ط ، بيروت 1975م.
26. طوران ، مصطفى . أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة كمال خوجة ، استانبول ، 2000م.
27. ظاظا ، حسن . الفكر الديني اليهودي ، دار القلم ، ط4 ، 1999م.
28. عبد الحكيم ، منصور . عبد الحميد الثاني المفترى عليه ، القاهرة ، د.ط ، 2010م.
29. عبد العفو ، داوود . القوى الخفية اليهودية العالمية الماسونية ، دار الفرقان ، د.ط،1983م.
30. عثمان ، أحمد . تاريخ اليهود ، مكتبة الشروق ، القاهرة 1994م .
31. قطب، محمد علي . ماذا تعرف عن يهود الدونمة ، دار الأنصار ط1، القاهرة، 1987.
32. المسيري ، عبد الوهاب . موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مركز الدراسات الإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975م.
33. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية ، دار الشروق، ط 1 ، م 2، ج2، القاهرة 1999م.
34. المسيري ، عبد الوهاب . اليد الخفية ، دار الشروق ،د.ط ، بيروت 1998م.
35. ناجي ، س . المفسدون في الأرض ، العربي للإعلان والنشر ، ط2 ، دمشق ، 1973م.
36. النتشة، رفيق شاكر. السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الذي فقد عرشه في فلسطين) دار الكرمل، ط1 ، عمان ، 1984م .
37. النعيمي ، أحمد نوري . الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا ، القاهرة ، 2000م.

38. النعيمي، أحمد نوري. يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد والمواقف، ط 1 ،دار البشير، بيروت ، 1995.

39. النعيمي ، أحمد نوري . اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير، الأردن ، 1997م.

المصادر التركية :

1. Ilgaz Zorlu, Turkiye Sabetaycilige , Istanbul , 1998.
اليغاز زورلو ، السبتائية في تركيا ، استانبول 1998م.
2. Ismail Hami Danismend, Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi , c1. Istanbul,1972.
إسماعيل حامي دانشمند ، تقويم التاريخ العثماني الموضح ، استانبول ، 1972م
3. Hikmet Tanyu , Tarih Boyunca Yahudiler ve Turkler, Istanbul , 1976.
حكمت طانيو ، اليهود والأتراك عبر التاريخ ، ج1 ، استانبول ، 1976م

المجلات التاريخية :

1. حرب ، محمد. يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد ، مجلة العربي ، العدد 55 ، 1980م.

2. هاشم ، جلال . الأقلية اليهودية في تركيا ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ،131